

## الزراعة في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري من خلال رحلة ابن بطوطة

د. سعد عواد الخرزجي

تاريخ إسلامي/معهد التاريخ العربي

### (خلاصة البحث)

لعل ابن بطوطة هو أعظم الرحالة المسلمين وأوسعهم شهرة، سُمِّيَ بشيخ الرحالين لكثرة طوافه في الآفاق، فقد أمضى ثماني وعشرين عامًا من حياته في أسفارٍ متصلة ورحلاتٍ متعاقبة، الذي تجوَّل فيها في أنحاء من الأرض مختلفة. كما كان من المغامرين الذين دفعهم حبُّ الاستطلاع إلى ركوب الكثير من الصعاب. وسوف نتناول رحلته إلى بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري ووصفه للنشاط الزراعي فيها.

### المقدمة

تعد الرحلات بأصنافها المتعددة من أوثق المصادر التاريخية المعتمدة حاليًا في الأبحاث و الدراسات الأكاديمية المعاصرة، لأن الرحالة يصور المظاهر والأحداث بالمعينة الميدانية، فينقلها على طبيعتها، مما يمكننا من مقارنة ذلك بالمصادر الموازية والمتقاطعة مع الرحلة زمنيًا و مكانيًا، فتصبح نتائج البحث والدراسة أقرب إلى العلمية والموضوعية.

والرحلة الحجازية للمغاربة عبر مختلف مراحل تاريخ العالم الإسلامي تناولت جوانب مهمة من ذلك التاريخ ، وهي جوانب لم تحظ بتغطية وافية من طرف المصادر الأخرى، فتناولتها الرحلة الحجازية باستعراض أدق التفاصيل ، لاسيما ما يتعلق

بالأحوال الثقافية ، لان الرحلة الحجازية كانت دينية بالأساس من جهة ، لأداء فريضة الحج ، ومن جهة أخرى كانت علمية ، لاستكمال التحصيل العلمي .  
ولعل ابن بطوطة أعظم الرُحَّالة المسلمين وأوسعهم شهرة، سُمِّيَ بشيخ الرحالين لكثرة طوافه في الآفاق، فقد أمضى ثمانى وعشرين عامًا من حياته في أسفارٍ متصلة ورحلاتٍ متعاقبة، هو ابن بطوطة ، فكان أوفر الرُحَّالين نشاطًا واستيعابًا للأخبار، وأشهرهم عناية بالحديث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي تجوَّل فيها، كما كان من المغامرين الذين دفعهم حبُّ الاستطلاع إلى ركوب الكثير من الصعاب. وسوف نتناول رحلته الى بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري ووصفه للنشاط الزراعي فيها .

#### ابن بطوطة ،نسبه ومولده ودراسته

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي(١) الشهير بابن بطوطة.  
وُلد في مدينة طنجة عام 703هـ/1304م، ويُنسب إلى قبيلة لواتة البربرية، التي انتشرت بطونها على طول سواحل إفريقية حتى مصر، وينحدر من أسرة عالية، أُتيح لكثير من أبنائها الوصول إلى منصب القضاء والنبوغ في العلوم الشرعية(٢).  
وفي طنجة درس ابن بطوطة العلوم الشرعية وفقًا للمذهب المالكي السائد في أقطار المغرب، ولكن يبدو أنه لم يُتِمَّ دراسته؛ لأن سنَّ الحادية والعشرين التي خرج فيها للرحلة تدلُّ على أنه لم ينتظر حتى يستكمل دراسة الفقه؛ لأن الدراسة في ذلك الوقت كانت تطول فلا يفرغ الشاب من دراسته إلا في حدود الثلاثين، والواضح أن رغبته في السفر والتجوال أعجلته عن إتمام الدراسة(3٣).

كان الدافع وراء خروج ابن بطوطة لرحلاته أولاً أداء فريضة الحج، إضافةً إلى رغبته في رؤية أحوال الناس في مختلف الأقطار، وشوقه إلى المعرفة، وولعه بالتنقل والمغامرة والتجربة، ومعرفة أحوال الدنيا من حوله.

### رحلاته

بدأت رحلة ابن بطوطة الأولى من مدينة طنجة عام 725هـ / 1326م، حيث طاف بأنحاء المغرب الأقصى، ثم اتجه نحو الشرق عبر الجزائر أو المغرب الأوسط، ثم إلى تونس وليبيا، وانتهى به المطاف في مصر. ومن الإسكندرية اتجه جنوباً إلى القاهرة ثم إلى الصعيد حتى وصل إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر، ثم عاد إلى القاهرة وتابع رحلته إلى مكة المكرمة عن طريق بلاد الشام (٤). وبعد أداء فريضة الحج اتجه إلى العراق وإيران وبلاد الأناضول، ثم عاد إلى الحجاز وحج للمرة الثانية، وبقي في مكة سنتين. وفي عام 730هـ / 1329م غادر الحجاز إلى اليمن وبلاد الخليج العربي، وقد تحدث ابن بطوطة عما وجدته هناك من تقاليد وعادات وأنواع أطعمة غريبة لم يشاهدها من قبل، ثم سار في الخليج العربي متجهاً إلى البحرين والإحساء (٥). بعد ذلك اتجه ابن بطوطة إلى بلاد الروم (الدولة البيزنطية)، ومنها عاد إلى مكة ليحج للمرة الثالثة، ثم قطع البحر الأحمر فوصل إلى وادي النيل كي يحاذيه باتجاه الشمال قاصداً سوريا، ومنها ركب البحر من اللاذقية قاصداً آسيا الصغرى حيث نزل ميناء آلايا، ومنه إلى ميناء سينوب على البحر الأسود، ثم قصد شبه جزيرة القرم، وتوغل حتى بلاد روسيا الشرقية، وهناك انضم إلى سفارة السلطان محمد يزبك الذاهبة إلى القسطنطينية، وعاد إلى القرم كي ينطلق منها إلى بخارى وبلاد الأفغان، إلى أن وصل إلى دلهي على نهر الغانج فاستقر بها مدة عامين، عمل خلالها قاضياً للمذهب المالكي.

ولقد حاول أن يرافق بعثة سياسية أرسلها سلطان الهند محمد شاه إلى ملك الصين، فلم يتجاوز جزائر (ذبية المهل)، حيث استقر مدة سنة ونصف تولى فيها منصب القضاء، وبعدها استمر في رحلته عن طريق ساحل البنغال، ودخل بلاد الهند الشرقية وجزر إندونيسيا، ووفقاً إلى زيارة الثغرين الصينيين زيتون (تسوتونج) وكانتون، ثم قفل إلى الجزيرة العربية عن طريق سومطرة والهند في 748هـ/1347م، ومنها صعد في الخليج العربي، وعاد إلى بلاد فارس عن طريق ميناء هرمز، ثم سافر إلى العراق فبلاد الشام، فمصر، ومنها انطلق إلى مكة ليؤدي فريضة الحج للمرة الرابعة (٦). ثم واصل سيره عائداً إلى بلاده عبر مصر وتونس والجزائر حتى وصل فاس في المغرب الأقصى عام 750هـ/1349م، وبعد أن قام فيها مدة عام، عاوده الشوق والحنين إلى الارتحال، فقام برحلة عام 751هـ/1350م إلى غرناطة بالأندلس (٧). ثم رجع إلى فاس ليهيئ نفسه لرحلة إلى إفريقية الغربية عام 754هـ/1353م، فدخل تومبوكتو وهكار، ومنها عاد إلى المغرب عن طريق مدينة توات، ليستقر هناك حتى أدركته المنية (٨).

هكذا أمضى ابن بطوطة أكثر عمره في الترحال بين المدن والبلدان؛ من أجل رؤية عادات الشعوب والأقوام، وليسجل لنا تلك الأحداث التي أصبحت درياً يسلكه كل من أراد المضي في هذا المجال.

### مؤلفاته

لم يترك ابن بطوطة خلفه أي إنتاج أدبي، سوى سردٍ لأسفاره على شكل كتابٍ عنوانه: (تحفة النظار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار)، الشهير بكتاب (رحلة ابن بطوطة).

وكان السلطان المغربي أبو عنان فارس المريني الذي أعجب برحلات ابن بطوطة وقصصه المشوقة، قد طلب منه أن يملئها على كاتبه محمد بن جزّي الكلبي، وقد أطلق ابن جزّي على الكتاب اسم (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). وهو عمل مشترك قام به ابن بطوطة وابن جزّي، وصبغه كل منهما بطابعه الخاص، فجعل فيه ابن بطوطة روحه التي تحب العجائب والغرائب، وجعل فيه ابن جزّي أسلوبه الذي لا يخلو من صنعة وتكلف وتنميق، فهو كتاب سلس الإنشاء، وفيه رواية حوادث نادرة فكهة، وتقاليد شاذة، وقد أحس ابن بطوطة بأن ما يذكر من أخبار عن الهند تُعدُّ غريبة، وبعيدة عما هو مألوف، وبأنها ستحمل الكثير من الناس على الشك في صحة كلامه، فأقسم على ذلك بأنه صادق فيما رأى وفيما تكلم(٩).

### أهمية رحلة ابن بطوطة

لقد كان ابن بطوطة يتمتع بقدرته على تذكُّر ما رآه في رحلاته، على الرغم من مرور السنوات، وتعدُّد المناطق التي زارها، وكان ما يميزه أيضًا أنه ذكر حقائق لأول مرة ولم تُذكر عند غيره، فقد ذكر استعمال أوراق النقد في الصين، وأشار إلى استخدام الفحم الحجري (١٠).

وقد طبعت رحلة ابن بطوطة في باريس مع ترجمة فرنسية في منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرق ديفرييري وسابنجيتي، وطبعت في القاهرة طبعتين عربيتين، ونشر الأستاذ جب ملخصًا لها بالإنجليزية في سلسلة (Broodway Travellers) عام 1929م، كما طبعت في لبنان في سلسلة الروائع اللبنانية،

تحقيق فؤاد أفرام البستاني، وكذلك تُرجمت إلى كثير من لغات العالم (١١)؛ مما يدل على مدى أهمية تلك الرحلة.

وثُعد رحلاته من أطرف القصص رغم ما تحتويه من غرائب العادات، فإن تسجيل عادات تلك الأقوام وتقاليدهم أفاد كثيراً في معرفة عادات تلك الشعوب البعيدة، كما أفاد في معرفة تاريخ تلك البلاد، ومعرفة جغرافيتها من خلال وصف البلاد وجبالها وبحارها.

ومن الغرائب التي ذكرها ابن بطوطة عن نظام التأمين الاجتماعي في الصين؛ أن العامل أو الصانع كان يُعفى من العمل وتنفق عليه الحكومة إذا بلغ الخمسين، وأن من بلغ ستين سنة عُدَّوه كالصبي فلم يُجر عليه الأحكام (١٢).

#### وفاته

توفي ابن بطوطة في مراكش عام 779هـ/1377م، وقد أطلقت عليه جمعية كمبريدج لقب "أمير الرحّالين المسلمين".  
لقد كان لابن بطوطة الفضل على الجغرافيين العالميين؛ لأنه ترك صوراً صادقة للحياة في العصر الذي عاش فيه، بعد أن قطع ما يقرب من خمسة وسبعين ألف ميل، بحثاً عن المعلومة الجغرافية الصحيحة.

#### زيارة ابن بطوطة الأولى لبلاد الشام 726هـ

كانت زيارة ابن بطوطة الأولى لبلاد الشام ، عندما غادر طنجة مسقط رأسه في يوم الخميس الثاني من رجب سنة 725هـ بقصد اداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) (١٣) وبعد ان مر بعدة مدن ، قرر ان

يسافر الى الحجاز عن طريق بلاد الشام في منتصف شعبان عام 726هـ ، وهذه هي الزيارة الاولى له لبلاد الشام ( ١٤ ) ، وفي طريقه من القاهرة الى بلاد الشام مر على مدينة بلبيس (١٥) ، والعريش (١٦) ، سالكا الطريق الرملي الى ان وصل الى غزة وهي اول بلاد الشام مما يلي مصر ( ١٧ ) ومكث في بلاد الشام في زيارته الاولى سنة 726هـ الى بداية شهر شوال من العام نفسه ثم خرج مع الراكب الشامي الى المدينة المنورة ومكة لاء فريضة الحج (١٨) .

#### زيارة ابن بطوطة الثانية لبلاد الشام 733هـ

أما زيارته الثانية لبلاد الشام فكانت بعد أدائه فريضة الحج سنة 733هـ بعد غياب أكثر من ست سنوات على زيارته الاولى ، و عقب وصوله القاهرة وإقامته بها اياما وصل بلاد الشام وزار كلا من غزة والخليل وبيت المقدس والرملة وعكا ومنها اتجه شمالا على طريق الساحل الى مدينة طرابلس وجبله واللاذقية ومنها اجر الى الروم ( الدولة البيزنطية ) ( ١٩ ) وقد كانت زيارته الثانية الى بلاد الشام المرور فقط ، ولم يتعمق في وصف المدن الداخلية لبلاد الشام بل اقتصر اهتمامه على المدن الساحلية بقصد الوصول الى ميناء اللاذقية بل لم يعط معلومات تفصيلية سوى قوله (وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها) (٢٠)

#### زيارة ابن بطوطة الثالثة الى بلاد الشام 748هـ - 749هـ

بعد جولات عديدة استمرت أكثر خمسة عشر عاما زار خلالها ابن بطوطة اسيا الصغرى وخوارزم والهند والصين الى ان وصل جاوة ومنها غادر بحرا الى ظفار ( ٢١ ) وصل مدينة تدمر ثم اتجه الى دمشق وقد مكث فيها حتى نهاية سنة 748هـ ، وفي

نُهاية سنة 749هـ تجول ابن بطوطة في عدد من المدن الشامية واتجة شمالا الى حمص وحماة والمعرّة ومنها الى حلب ، حيث بلغه وقوع الطاعون بغزة في اوائل شهر ربيع الاول فعاد مرة اخرى الى حمص فوجد فيها الوباء قد وقع بها ثم غادرها الى دمشق ومنها اتجه الى عجلون وبيت المقدس وغزة التي وجدها خالية من السكان لكثرة من مات فيها ثم تابع سيره الى مصر(٢٢)

إن ما ذكره ابن بطوطة عن الأحوال الاقتصادية لبلاد الشام في ذلك العصر في أثناء زيارته الثالثة التي تمت في 748هـ- 749هـ كانت فترة ازدهار اقتصادي وقد نشطت الزراعة(٢٣) والصناعة والتجارة وأصبح الفائض من الحاصلات الزراعية تصدر الى خارج البلاد وبالأخص مصر. وقد شاهد ابن بطوطة في رحلته الى بلاد الشام الأسواق وهي عامرة بالمحاصيل الزراعية والتي لم تكن تقتصر على المدن الكبرى مثل دمشق وحلب وإنما تعدتها الى مدن اخرى الكبيرة منها والصغيرة وهذا دليل واضح على زيادة القدرة الشرائية للشاميين في القرن الثامن الهجري .

### الزراعة في بلادا لشام في القرن الثامن الهجري

من المعروف عن بلاد الشام انها ذات ارض زراعية خصبة ، وذلك بسبب كثرة جريان الأنهار بها ، كنهر العاصي ، ونهلا قوبق( ٢٤ )، ونهر بردى (٢٥)، ونهر الساجور( ٢٦ )، بالإضافة إلى مرور بعض الأنهار بأجزاء منها كنهر الفرات . لذلك كان من الطبيعي ان تتنوع الحاصلات الزراعية من مدينة إلى أخرى ، وقد ذكر ابن بطوطة بعضا من الحاصلات الزراعية إثناء تجواله بأرض الشام ، ومنها زراعة الزيتون في كل من نابلس وسرمين ( ٢٧ ) والفواكه المختلفة في كل من مدينة صيدا أو بيروت وقرية الزبداني ( ٢٨ ) ، كما تتميز مدينة حماة بمشهمها اللوزي ، وقال في ذلك : اذا



كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة ، وتشتهر نابلس بالبطيخ المنسوب اليها (٢٩) وزراعة التين والزبيب في مدينة صيدا ( ٣٠ )، والفسق والتين في المعرة ( ٣١ ) .

اما مدينة بعلبك ففيها يزرع حب الملوك ( ٣٢ ) وهو ماليس في سواها (٣٣).

وعلى الرغم من هذه الحاصلات الزراعية البسيطة التي ذكرها ابن بطوطة عن بلاد الشام ، إلا انه وصف لنا جمال الطبيعة الخلابة ، المتمثلة في كثرة البساتين والحدائق ، التي كانت تحيط ، بالمدن الكبرى ، كمدينة دمشق وحلب ، هذا بالإضافة إلى القرى والحصون ،التي تكشف لنا ماكانت تنعم به بلاد الشام من الرخاء والنعيم ،فهي بلد زراعي في المقام الأول ،وهذا الوصف يختلف من مدينة إلى أخرى ،ومن قرية إلى أخرى .فقال في وصف طرابلس ( ٣٤ ): تخترقها الأنهار وتحفها البساتين ،والأشجار ويكتنفها البحر ولها المسارح الخصيبة )) كما وصف نابلس بأنها كثيرة الأشجار مطردة الأنهار (٣٥).

أما حمص فقال عنها ؛ مدينة مليحة ، إرجاؤها مونقة ،وأشجارها مورقة ، وأنهارها متدفقة ( ٣٦ ). وقال عن مدينة حماة ((هي إحدى أمهات الشام الرفيعة وحدائقها البديعة ، ذات الحسن الرائق ،والجمال الفائق ،تحفها البساتين والجنات ،عليها النواعير ( ٣٧ )كالأفلاك الدائرات ، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاص وعليه نواعير كبار التي لم ير في الأفاق مثلهن يحملن من العاص انهارا من الماء يستقون به البساتين والأماكن ( ٣٨ ).وسرمين كثيرة البساتين ( ٣٩ ).إما مدينة حلب فيصف ابن بطوطة خارجها قائلا : وإما خارج المدينة فهو بسيط افيح عريض به المزارع العظيمة ،وشجرات الأعناب منتظمة به ،والبساتين على شاطئ نهرها ،وهو النهر الذي يمر بحماة ويسمى العاص \*وقيل انه سمي بذلك لأنه يخيل لناظره أن جريانه من أسفل إلى علو ،والنفس تجد خارج مدينة حلب انشراحا وسرورا ونشاطا لا يكون في

سواها ، وهي من المدن التي تصلح للخلافة وأمرها في الاحتفال عظيم ، فهي بلد تليق بالخلافة ( ٤٠ ) ويمر نهر العاصي على سور إنطاكية ثم يتجه جنوبا بغرب حتى يصب في البحر المتوسط عند السويدية ( ٤١ ) . ومدينة إنطاكية كثيرة العمارة ، ودورها حسنة البناء ، كثيرة الأشجار والمياه ، وصهيون مدينة حسنة بها الأنهار المطردة ، والأشجار المورقة ( ٤٢ ) . وقال عن مدينة جبلة : وهي ذات انهار مطردة وأشجار البحر على نحو ميل منها " ( ٤٣ ) .

ومدينة بعلبك حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحديق بها البساتين الشريفة ، والجنات المنيقة ، ويخترق أرضها الأنهار الجارية ، وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية ، وعن جمال الطبيعة بها أضاف ابن بطوطة : " وإما الرفاق فيخرجون من بعلبك فيبتون ببلدة صغيرة ، تعرف بالزبداني ، كثيرة الفواكه ويغدون منها إلى دمشق ( ٤٤ ) . وحصن بغراس عليه البساتين والمزارع ( ٤٥ ) وحصن الأكراد كثير الأشجار والأنهار ( ٤٦ ) والجبل الأقرع ، وهو أعلى جبل في الشام ، وأول من يظهر منها من البحر ، وفيه الأنهار والعيون ( ٤٧ ) . وجبل لبنان وهو من أخصب جبال الدنيا ، فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوفرة .

إما مدينة دمشق فقد أبدع ابن بطوطة في وصف جمال الطبيعة بها وبخاصة الارياض التي كانت تحيط بالربوة والقرى التي تواليها قائلا ( ٤٨ ) ( ( وتدور بدمشق ماعدا الشرقية ارياض فسيحة الساحات ، دواخلها املح من داخل دمشق لأجل الضيق الذي في سككها ، وفي الجهة الشمالية منها روض الصالحية ( ٤٩ ) ويشير كذلك القلقشندي عنها : وهي مدينة ممتدة في الجبل بإزاء المدينة في طول يشرف على دمشق وغوطتها ، ذات بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليلة ( ٥٠ ) وفي سفح جبل قاسيون ( ( ٥١ ) وهي مدينة عظيمة لها سوق لانظير لحسنه ، وفي آخر

جبل قاسيون الربوة ( ٥٢ ) ، وهي من أجمل مناظر الدنيا ومتنزهاتها ، وبها القصور المشيدة ، والمباني الشريفة ، والبساتين البديعة وهي رأس بساتين دمشق ، وبها منابع مياهها ، وينقسم الماء خارج منها على سبعة أنهار ( ٥٣ ) كل نهر اخذ في جهة ، ويعرف ذلك الوضع بالمقاسم ، واكبر هذه الأنهار ، النهر المسمى يثورا ( ٥٤ ) ، وهو يشق تحت الربوة ، وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كالغار الكبير وربما انغمس ذو الجسارة من العوامين من أعلى الربوة ، واندفع الماء حتى يشق مجراه ، ويخرج من اسفل الربوة ، وهي مخاطر عظيمة . وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة بالبلد ( ٥٥ ) ، ولها من الحسن واتساع مسرح الإبصار ما ليس لسواها ، وتلك الأنهار السبعة تذهب في طرق شتى فتحار الأعين في حسن اجتماعها واختراقها وادفعها وانصبابها ، وجمال الربوة وحسنها التام أعظم من أن يحيط به الوصف ( ٥٦ ) . وبأسفل الربوة قرية النيرب ( ٥٧ ) ، وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتداننت أشجارها فلا يظهر من بنائها ألا ما سما ارتفاعه ، وفي القبلي من هذه القرية ( ٥٨ ) النيرب قرية المزة ( ٥٩ ) ، وتعرف بمزة كلب نسبة الى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ( ٦٠ ) . وكانت أقطاعا لهم ، واليها ينسب الحافظ جمال الدين بن يوسف بن الزكي الكلبي المزني ( ٦١ ) وكثير من العلماء وهي من أعظم قرى دمشق ( ٦٢ )

### الموارد المائية في بلاد الشام

كانت معظم المناطق الزراعية في بلاد الشام تروى بمياه الأمطار ، وعلى الرغم من كثرة جريان الأنهار بها كنهر العاصي ونهر قويق ونهر بردى وغيرها من الأنهار الصغيرة ، إلا أن هذه الأنهار كانت لا تروي مساحات واسعة من الأراضي

الزراعية ، فنهر الفرات أكبر وأهم أنهار بلاد الشام من جهة الشرق لا يستفاد منه الاستفادة المطلوبة لانخفاض منسوبه عن ارض الشام ، كما لا يستفاد من الأنهار التي تشق قلب البلاد الفائدة المطلوبة في الري ، فنهر الأردن مثلاً يشق بعض إرجاء فلسطين ، ونهر العاصي يجري من سفوح لبنان ماراً بحمص وحماة فإنطاكية حتى السويداء ولا ينتفع بها انتفاعاً كبيراً (٦٣) .

### النواعير في بلاد الشام

كان النواعير في بلاد الشام دور في الزراعة من خلال الاستفادة من ماء الأنهار فقد وضعت النواعير الكبار على نهر العاصي والتي كانت تسقي أكثر بساتينها (٦٤). ويقول النويري : ان قانون البلاد الشامية مبني على نزول الغيث ووقوع الأمطار في أبنائها وأوقات الاحتياج إليها (٦٥). وقد ساعد اختلاف الأقاليم الطبيعية في بلاد الشام على تنوع زروعها وتعدد غرس أشجارها ، فالغور والساحل يزرع القطن والنخل والموز والبرتغال والليمون ، أما السهول فتزرع بها الحبوب والزيتون والمشمش والخوخ والكرمة ، وينمو في الجبال التفاح والكمثرى والكرز (٦٦) وقد ذكر الرحالة والجغرافيون العرب نواعير حماة في مؤلفاتهم أمثال ابن جبير فيقول عنها : "هي مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصحبة للزمان حتى إذا جست خلالها ونفرت ظلها أبصرت بشرقيها نهرًا كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه وتتناظر في شطه دواليبه وقد انتظمت طرفيه بساتين تتهدل أغصانها عليه". أما ابن بطوطة فقال عن حماة : "تحفها البساتين والجنات عليها النواعير كالأفلاك الدوائر ويشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ولها رضى سمي بالمنصورية أعظم من المدينة فيه الأسواق الحافلة والحمامات الحسان" (٦٧). وملوكها أبو الفداء قال عنها : "حماة من الشام مدينة أزلية وهي من أنزه

البلاد الشامية ... وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساينها ويدخل منها الماء إلى كثير من دورها " (٦٨). وكما ذكر ياقوت الحموي نهر العاصي وحماة بقوله : " العاصي بالصاد المهملة وهو ضد الطائع اسم نهر حماه وحمص ويصب في البحر قرب أنطاكية واسمه قرب أنطاكية (الأرند) وقيل إنما سُمي بالعاصي لأن أكثر الأنهر تتوجه ذات الجنوب وهو يأخذ ذات الشمال وليس هذا بمطرد " (٦٩-٧٠)

### المحاصيل الزراعية في بلاد الشام

يقول القلقشندي إن زروع بلاد الشام (٧١) أما زروعه فغالبا على المطر ومنها ماهو على سقي الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل مايوجد في مصر من الحنطة والشعير والذرة والارز وبه أنواع البطيخ والقثاء مايستطاب ويستحسن ، وكذلك غيرها من المزروعات مثل الملوخيا والبادنجان ، واللفت والجزر والبقلة اليمانية ، وغير ذلك من أنواع الخضروات وقصب السكر في أغواره . أما عن توزيع هذه المحاصيل الزراعية حسب المناطق المشتهرة بزراعتها ، فنجد أن مدينة طرابلس ، كانت أشهر المدن في زراعة قصب السكر في عصر دولة المماليك ويعد من أهم ثروتها الزراعية (٧٢) وكذلك المرقب وبليناس ( ٧٣ ) إما حماه فتشتهر بالمشمش الكافوري الذي لم ير في سائر الأفاق ( ٧٤ ) إما الزيتون فيكثر زراعته في نابلس وسرمين ( ٧٥ ) أما التين والفسق واللوز فيكثر في معرة النعمان (٧٦).

### الهوامش

١ ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت ، 852هـ 1449م ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجليل ، بيروت ، بلا 227/5.

- ٢ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، 1995م ص559.
- ٣ حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، القاهرة، 1979 ص17.
- ٤ أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي - جدة. ص370.
- ٥ المرجع نفسه، ص370، 371.
- ٦ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ص559، 560.
- ٧ المرجع نفسه، ص379، 380.
- ٨ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ص560.
- ٩ محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الأسرة، 2010 ص294.
- ١٠ مجموعة من العلماء: موسوعة الشروق، دار الشروق ، بلا 16/1.
- ١١ أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص384
- ١٢ زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي - بيروت. ص161.
- ١٣ ابن بطوطة ، الرحلة، ص14
- ١٤ المصدر نفسه ، ص53
- ١٥ مدينة بينها وبين الفسطاط بمصر عشرة فراسخ ، على طريق الشام ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج4/479
- ١٦ اول مدينة بمصر، مما يلي الشام ، في وسط الرمال وهي اخر مدينة تتصل بالشام مما يلي مصر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج4/113
- ١٧ ابن بطوطة ، الرحلة، ص54
- ١٨ المصدر نفسه ، ص110
- ١٩ ابن بطوطة ، الرحلة، ص282
- ٢٠ المصدر نفسه، ص283
- ٢١ ظفار مدينة على ساحل بحر الهند ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج4/60
- ٢٢ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص651-653
- ٢٣ محمد يوسف عمر ، بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة ، دراسة نقدية مقارنة ، رسالة ماجستير في جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، كلية الشريعة ، الدراسات العليا التاريخية ، 1407هـ/1986م ، ص126
- ٢٤ قويق : نهر مدينة حلب ، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت، 626هـ/1228م ) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا) ج 4 ، ص 417 ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق

- البغدادي (ت، 739هـ/1338م) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق على محمد الجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1373هـ/1954م ، ج3، /1135 ، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت، 749هـ/1348م ) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار تحقيق احمد زكي باشا ، ج1/80
- ٢٥ بردى : نهر مدينة دمشق ، يخرج من عين في صحراء الزيداني بين بعلبك ودمشق ، شيخ الربوة، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ( 727هـ/1327م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي ، 1998م ، ص 194
- ٢٦ نهر مستحدث في مدينة حلب ، ساقه اليها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ابو الفداء (ت، 774هـ/1372م) ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، بيروت ، 14/152
- ٢٧ ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ، 779هـ/1369م رحلة ابن بطوطة المسماة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1400هـ/1980م ، 60-67
- ٢٨ الزيداني، كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك ومنها يخرج نهر دمشق(بردى)ياقوت،معجم البلدان، ج3، 130
- ٢٩ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص66 وعن مشمشها يقول شيخ الربوة : وبها المشمش الكافوري اللوزي الذي لم ير في سائر الأفاق مثله أصلا ، نخبة الدهر ، ص206
- ٣٠ ابن بطوطة ، الرحلة ص62
- ٣١ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص67 وغالب شجرة المعرة الفستق واللوز والمشمش والزيتون والرمان وكثير من الفواكه وسائرهما من ماء السماء ، شيخ الربوة ، ص205
- ٣٢ حب الملوك (الكرز ) ، رحلة ابن بطوطة ، ص100
- ٣٣ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص83
- ٣٤ المصدر نفسه ، ص64
- ٣٥ المصدر نفسه ، ص60
- ٣٦ المصدر نفسه 60
- ٣٧ شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص206
- ٣٨ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه (ت 732هـ) تقويم البلدان ، باريس، 1840.ص263
- ٣٩ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص67

- ٤٠ ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكتاني (ت) ، 540هـ / 614م رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، 1374هـ / 1955م ، ص241 ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص74
- ٤١ القلقشندي : تقي الدين احمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م ) صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج3) القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 80/4 ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، 206
- ٤٢ ابن بطوطة الرحلة ، ص75
- ٤٣ المصدر نفسه ، ص78
- ٤٤ المصدر نفسه، ص83
- ٤٥ المصدر نفسه، ص74
- ٤٦ المصدر نفسه، ص65
- ٤٧ المصدر نفسه، ص82
- ٤٨ المصدر نفسه، ص101-103
- ٤٩ الصالحية : قرية كبيرة في سفح جبل قاسيون من غوطة دمشق ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج 3 / 390، ابن عبد الحق ، مرصد الاطلاع 830/2
- ٥٠ القلقشندي ، صبح الأعشى 94/4 - 95
- ٥١ هو الجبل المشرف على دمشق في سفحه بها ترب وربط ومدارس وجامعان يصلى فيه الجمعة ، ومارستان وسوق كبير ، ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع 1057/3
- ٥٢ هو ما ارتفع من الأرض وجمعها ربي، الحموي ، معجم البلدان 26/3
- ٥٣ هو انقسام نهر بردى إلى سبعة أقسام ، هي نهر داريا ، المزة ، القنوات ، باناس واثنان شرفية وهما نهر يزيد ، نرا ، نهر بردى ممتد بينهما ، العمري ، مسالك الإبصار 81/1 ، القلقشندي ، صبح الأعشى 95 / 4 ، ياقوت معجم البلدان، 378/1
- ٥٤ ياقوت الحموي معجم البلدان، 378/1
- 55 من هذه الربوة على جميع البساتين الغربية من البلد ، ابن جبير ، الرحلة ، ص265
- ٥٦ نقل ابن بطوطة جزء كبيرا من وصف ربوة دمشق عن رحلة ابن جبير ويكاد ان يكون المعنى واحد ، ابن جبير ، الرحلة ، ص264-265
- ٥٧ النيرب ، قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان 330/5،
- ٥٨ وفوقها بجهة القبلة قرية كبيرة هي من أحسن القرى تعرف بالمزة ، رحلة ابن جبير ، ص265



- ٥٩ قرية كبيرة غناء في أعلى الغوطة ، في سفح الجبل من اعلى دمشق ، ابن عبد الحق ، مرصد الاطلاع ، ج 3 ، ص366، ويقال لها مزة كلب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 122/5
- ٦٠ وهو جد جاهلي ، وكان بنو كلب في الجاهلية ينزلون دومة الجاهلية وتبوك وكان لهم إمارة في صقلية في عهد الفاطميين نوخذ استقر منهم في بعض نواحي اللاذقية ، القلقشندي ، صبح الأعشى 316/1، ياقوت الحموي ، معجم البلدان 122/5
- ٦١ هو جمال الدين ابو الحجاج بن يوسف بن الزكي بن يوسف المزني ولد بظاهر حلب سنة 654هـ ونشأته بالمزة، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج 4/457 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 14/191 ، الحنبلي ، ابن العماد ، عبد الحي بن العماد ، (ت 1089 هـ ) ، شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ، ط 2 ، ج 7 ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان ، 1399 هـ ج 6/136
- ٦٢ ابن شاکر الکتبي ، محمد بن شاکر بن احمد بن عبد الرحمن (ت ، 764 هـ / 1393 م) فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1973 م ج 4/353 ،
- ٦٣ محمد كرد علي ، خطط الشام ، دمشق ، 1925 ، ج 4 ، ص 132-133
- ٦٤ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص 263 ، شيخ الریوة ، نخبة الدهر ، ص 306
- ٦٥ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الله (ت 733 هـ - 1333 م ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة 1992. ج 8 ، ص 255
- ٦٦ احمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية "د. ط. د. ن. القاهرة 1977 ، ص 171
- ٦٧ ابن بطوطة الرحلة ، ص 75
- ٦٨ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص 243
- ٦٩ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/378
- ٧٠ المصدر نفسه.
- ٧١ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 4 ، ص 86-87
- ٧٢ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص 253 ، شيخ الریوة ، نخبة الدهر ، ص 207 ، عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، دار المعارف 1967 م ص 380
- ٧٣ أبو الفداء ، تقويم البلدان ص 255
- ٧٤ شيخ الریوة ، نخبة الدهر ، ص 206 ،
- ٧٥ المصدر نفسه ، ص 200

٧٦ ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي (ت في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي )صورة الأرض، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979م 164

## مصادر

١. ابن حجر، احمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت، 852هـ/1449م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل، بيروت، بلا
٢. عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر ، 1995م
٣. حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، القاهرة 1979
٤. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي - جدة.
٥. محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الأسرة، 2010
٦. مجموعة من العلماء: موسوعة الشروق، دار الشروق ،
٧. زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي - بيروت.
٨. محمد يوسف عمر ، بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة ، دراسة نقدية مقارنة ،رسالة ماجستير في جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، كلية الشريعة ، الدراسات العليا التاريخية 1407هـ/1986م .
٩. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله(ت، 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت، بلا) ج4
١٠. ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ، 739هـ/1338م) مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق على محمد الجاوي ، ج3 دار المعرفة ، بيروت ، 1373هـ/1954م .
١١. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت ، 749هـ/1348م ) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار تحقيق احمد زكي باشا ، بلا
١٢. شيخ الربوة، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي(727هـ/1327م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي ، 1998م .
١٣. ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ابوالفداء(ت ، 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، بلا.
١٤. ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ، 779هـ/1369م رحلة ابن بطوطة المسماة ، تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1400هـ/1980م .
١٥. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماته(ت 732هـ) تقويم البلدان، باريس، 1840.

١٦. ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكتاني (ت ، 540هـ / 614م رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، 1374هـ / 1955م .
١٧. القلقشندي : تقي الدين احمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م ) صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج3( القاهرة،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)،80/4،شيخ الربوة،نخبة الدهر ،206
١٨. الحنبلي، ابن العماد ، عبد الحي بن العماد ،(ت 1089 هـ ) ، شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، ط2، ج7، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1399هـ .
١٩. ابن شاکر الکتبی ، محمد بن شاکر بن احمد بن عبد الرحمن (ت ، 764هـ / 1393م )فوات الوفيات والذیل علیها ، تحقیق إحسان عباس ، دار صادر بیروت ، 1973م .
٢٠. محمد كرد علي ، خطط الشام ، دمشق ، 1925 .
٢١. النويري،شهاب الدين احمد بن عبدالله(ت 733 هـ -1333م)،نهایة الأرب فی فنون الأدب،مركز تحقیق التراث ، القاهرة1992.
٢٢. احمد رمضان،المجتمع الإسلامي فی بلاد الشام فی عصر الحروب الصليبية"د.ط،د.ن،القاهرة 1977، ص171
٢٣. ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي (ت فی القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي )صورة الأرض، مكتبة الحياة ، بیروت ، 1979م .

**Agriculture in al-Sham in the eighth century  
A.H. through the journey of Ibn Battuta**

D. Saad Awad al-Khazraji

Islamic History / Institute of Arab history

**(Abstract Search)**

Greatest travelers Muslims and Ousahm fame, called sheikh Rahalin to frequent roam in outlook, he spent twenty-eight years of his life in travel-related trips and successive, is Ibn Battuta, who wander in, as it was of adventurers who pushed curiosity to ride a lot of difficulties. Willwe take the trip to the Levant during the eighth century AH, calling for agricultural activity.